شخصية الخليفة عبد الله

فيفان أمينة ياجى

أولا :- مصادر البحث عن شخصية الخليفة عبد الله :-

تتوفر للباحث فى تاريخ الخليفة عبد الله أربعة أنواع من مصادر المعلومات هى:-

(١) وثائق المهدية.
(٢) ما كتب عنه معاصروه.
(٣) مؤلّفات خصومه وأخيرا
(٤) الكتب المؤلّفة عن المهدية منذ بداية القرن حتى يومنا هذا.

وسنقوم بتحليل هذه المصادر بإيجاز.

(١) وثائق المهدية :-

يحتوى ارشيف المهدية أولا على كلّ ما كتبه المهدى من رسائل ومنشورات موجّهة انى أنصاره والى خصومه وفى كلّ هذه المكتوبات فانّ المكانة التى كان يحظى بها الخليفة عبد الله تظهر بشكل واضح كما أنّ مكانة الخليفة ورتبته موضحة فى الرسائل الشخصية التى كان يوجهها المهدى الى الخليفة عبد الله. ففى هذه الرسائل تتضح لنا أهمّية الخليفة إذ أنّ المهدى كان يكلّفه بتنفيذ أوامره أو مراقبة تنفيذها،سواء أكانت تلك الأوامر ذات صفة عامّة أو خاصّة. ثانيا: كتابات الخليفة عبد الله والمراسيم التى حرّرها ورسائله الى أمرائه وقوّاد جيوشه وخصومه والى المتردّدين فى قبول الدعوة المهدية والمحايدين الذين كان يحاول استمالتهم الى صفّه. ثالثا: رسائل الأمراء ويطلبون فيها منه الفصل فى بعض الخلافات الفردية أو الجماعية ويطلبون توجيهاته ويردّون عليها. وإذا نظرنا فى هذه الوثائق بدقة فانّها تعطينا فكرة واضحة عن شخصية الخليفة عبد الله و مكانة التى كان يحتلّها سواء لدى المهدى نفسه أو لدى الأمراء. فالعبارات التى كان يستخدمها المهدى فى رسائله الى الخليفة تثبت

عمق الصلة التى كانت تربط بين الرجلين.

كما أنّ الأسلوب الذى كان يتبعه الأمراء فى كتابة رسائلهم للخليفة عبد الله يوضح الاحترام والتبجيل المشوب بالرّهبة التى كان يكنّها هؤلاء الأمراء للخليفة. وبالنسبة للغالبية العظمى من الأمراء، ومن واقع محتويات رسائلهم، يمكننا أن نستنتج المكانة التى يحتلّها الخليفة فى نفوسهم. فهو بمثابة قائد وموجّه وفى نفس الوقت هو القاضى الحازم فى كلّ ما يتصل بالدين. كما أنّه فى نظر المؤمن الحقيقى كان بمثابة وسيط بين العبد وربّه.

ولسوء الحظ فإنّ قراءة هذه النصوص صعبة خاصّة فيما يتعلّق بالنوعين الأخيرين. من ضمن رسائل الأمراء سنأخذ رسائل حمدان أبى عنجة والزّاكى طمل المكتوبة بلغة عربية قريبة من اللّهجة العامّية السودانية وليس بواسطة أشخاص متعلّمين. كما أنّ الكتّاب الذين قاموا بنسخ تلك الرسائل لم يكونوا من المتعلّمين.

إنّ الفرق لجدّ شاسع بين كتابات المهدى وبين رسائل الأمراء فالمهدى كان عالما يجيد استعمال اللّغة وقواعدها ومحسّناتها البديعية. وعلى الرّغم من ذلك فإنّ المهدى كان يستخدم أسلوب المخاطبة المباشر مع الناس ليتسنّى لهم فهمه بسهولة. ونجد فى قراءة مكاتبات الخليفة صعوبة أكثر ممّا فى رسائل المهدى. لأنّ هذا الأخير كان إذا استثنينا كتاباته الموجّهة الى عموم الأنصار يخاطب رؤساء الطوائف الذين نالوا قسطا قليلا من التعليم أو الصفوة المثقفة.

فالخليفة يخاطب الغالبية العظمى من الأمراء (والذين كانوا باستثناء القلّة القليلة منهم، أبعد ما يكونون من أن تطلق عليهم صفة العلماء) بلغة فصحى مخلوطة بلهجة عامّية وذلك فى سبيل إفهامهم كما أنّه ومن أجل تحقيق هذا الغرض كان يلجأ الى لغة فظّة، ومن هنا فقد وصفه البعض بأنّه غير متعلّم. وعلى عكس المهدى، الذى تمّ العثور على بعض الرسائل بخط يده، ولم يتم العثور على شىء مماثل بالنسبة للخليفة. وهذا ممّا حمل على الاعتقاد بأنّ الخليفة غير متعلّم. ولهذا فإنّ الصاق تهمة الأمّية بالخليفة عبد الله سببها المباشر عدم وجود كتابات بخط يده. والواقع أنّ كلّ وثائق المهدية لم تصل الى أيدينا.

وقد يكون سبب عدم اطّلاع المؤرخين على خط الخليفة هو أنّ هذه المخطوطات قد فقدت بقصد أو بغير قصد. لقد كانت للانجليز وحتى لخصوم الخليفة من السودانيين مصلحة فى اظهاره بمظهر الحاكم المتسلّط الجاهل الذى لا يعرف مبادئ القراءة والكتابة. فلذلك ربما تعمّدوا اخفاء الوثائق المكتوبة بخط يده إن وجدت مثل تلك الوثائق. أخيرا، وليتسنّى للباحث فهم هذه النصوص يجب عليه أن يكون ملمّا بطريقة صياغة الجمل فى المهدية. وأن يكون عارفا للتعابير والآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

وفيما يتعلّق بموضوعنا، وهو ارشيف المهدية، فإنّ وثائق المهدية توجد فى دار الوثائق المركزية للحكومة السودانية بالخرطوم ومكتبة الدراسات الشرقية بجامعة درهام.

فى عهد الخليفة عبد الله وضعت النصوص الرسمية لتلك الوثائق وطبعت فى أم درمان فى أربعة أجزاء. وأعاد أبو سليم، مدير دار الوثائق المركزية، طباعة هذه الأجزاء وتصويرها فى عام ١٩٦٣ تحت عنوان "منشورات الامام المهدى". اشتمل الجزء الأول على "منشورات" المهدى، والجزء الثانى على "الانذارات" الموجّهة الى غير الأتباع والخصوم، والجزء الثالث على "الأحكام والقرارات والقواعد القضائية" والجزء الرابع على "خطب" المهدى. وقد قام البروفسير هولت فى عام ١٩٥٠ بطباعة جدول زمنى للمراسلات المتبادلة بين الخليفة عبد الله والأمير محمود ود أحمد فى عام ١٣١٥هـ الموافق عام ١٨٩٧م.

وهناك احتمال قوى بوجود وثائق من عهد المهدية لدى بعض الأشخاص. ولا نستطيع حسب علمنا فى الوقت الحاضر سوى القول بهذا الاحتمال. كما أنّنا لم نتمكن من الوصول لمجموعات الأرشيف الخاصة لدى بعض أفراد عائلة المهدى على وجه الخصوص. أمّا الوثائق الموجودة لدى بعض الأقارب من عائلة الخليفة فإنّ أبحاثنا عنها لاتزال مستمرّة. وكخاتمة لموضوع مصادر المعلومات يجب ذكر مصدرين آخرين للمعلومات. فعلى الرّغم من أنّ المصدرين مكتوبان بواسطة الخصوم إلاّ أنّها ممّا يساعدنا على فهم بعض جوانب الحقائق من المخابرات المصرية والانجليزية وكلا المرجعين موجود فى دار الوثائق

المركزية بالخرطوم تحت عنوان (CAIRINT) "كيرينت" للأول و(INTEL) "انتل" للثانى.

(٢) ما كتبه عنه معاصروه :-

وهنالك مصدر آخر تجوهلت أهمّيته ويحتل المكانة الثانية مباشرة بعد الارشيف ألا وهو الموضوعات التى كتبها معاصرو الخليفة. ولدينا مثالان هما كتابان كتبهما الشيخ اسماعيل عبد القادر الكردفانى بناء على أوامر الخليفة. خصّص الأول للسيرة الذاتية للمهدى وجاء تحت عنوان "سعادة المستهدى بسيرة الامام المهدى[١]" وخصّص الثانى للحرب السودانية الحبشية لأعوام ١٨٨٦ - ١٨٨٩ وهو بعنوان "الطراز المنقوش ببشرى قتل يوحنّا ملك الحبش[٢]"

هنالك مؤلّف لكاتب يدعى عبد الوهاب أحمد بن الحاج الأمين الأنصارى بعنوان "سيف المجاهدين الحاسم فى أعناق الملحدين"[٣] وقد التحق هذا الكاتب بأنصار المهدى فى قدير فى عام ١٨٨٢ وشارك معه فى كلّ المعارك كما أنّه حارب مع الأمير عبد الرحمن النجومى فى موقعة توشكى فى عام ١٨٨٩ حيث وقع فى الأسر.

ويوجد مؤلّفان أحدهما ليوسف ميخائيل بعنوان "تاريخ حياتى"[٤] تناول الفترة من ١٨٨٣-١٨٩٨ والمؤلّف الآخر لبابكر بدرى بعنوان "تاريخ حياتى"[٥] وقد تناول أيضا أحداث هذه الفترة من عام ١٨٨٤م وهى بداية حصار الخرطوم وحتى كررى عام ١٨٩٨م.

كما أنّ هنالك مؤلّفا آخر يساعد على فهم الدور الذى قام به الخليفة عبد الله وبعض صفاته الشخصية هو عبارة عن مذكرات نرمز لها بـ"دفتر على المهدى"[٦] وعلى هذا هو ابن الامام المهدى. وقد ظهرت طبعة منه مجدّدة أعدّها ونقحها عام ١٩٦٥م عبد الله أحمد حسن تحت عنوان "جهاد فى سبيل الله". وقد تناول هذا الكتاب بعض جوانب شخصية الخليفة عبد الله.

ولم نستطع لسوء الحظ الاطلاع على مؤلّفات المؤرخ السودانى محمد عبد الرحيم عن المهدية الموجودة بدار الوثائق المركزية نسبة لأنّ العائلة طلبت من الدّار ألاّ يطّلع عليها أحد فى الوقت الحاضر. عاصر الشيخ محمد عبد الرحيم السنوات الأخيرة للمهدية

وكان عمره ست عشرة سنة أثناء موقعة كررى التى جرح فيها جرحا بليغا. وقد شكّلت كلّ هذه الوثائق حجر الأساس لبحثنا هذا واعتمدنا عليها فى رسم صورة حقيقية للخليفة عبد الله.

(٣) مؤلّفات خصومه :-

أمّا المؤلّفات التى كتبها خصومه فتنقسم الى نوعين: مؤلّفات كتبها أوربيون وعرب (مصريون وسوريون) عاصروا المهدية ،ومؤلّفات صدرت فى فترة متأخرة كتبها سودانيون موالون لعائلة المهدى.

ومن بين مؤلّفات النوع الأول، ثلاثة أعمال كان هدفها الدعاية وإظهار نقائص وعيوب الخليفة عبد الله وتصويره فى صورة شخص متعصّب جاهل ومتعطّش لسفك الدماء. والأعمال الثلاثة يغلب عليها الرأى الشخصى لكتابها والهدف الرئيسى منها هو إثارة الشعب البريطانى وجعله يحس بالشفقة على الشعب السودانى الواقع تحت حكم طاغية ظالم وقاسى ومتعطّش لسفك الدماء ،وفى نفس الوقت جعله يحسّ بالرغبة فى الانتقام لمقتل غردون. وعليه فإنّ كلّ الأحداث التى أوردت فيها بالرغم من أنّها قد تكون حقيقية إلاّ أنّها تأتى مشوّهة أو مبالغا فيها أو مقلّلا من قيمتها.

من أمثلة هذه المؤلّفات كتاب القس أوهرفلدير عشر سنوات من الأسر فى معسكر المهدى وكتاب سلاطين باشا النار والسيف فى السودان وكتاب ونجت باشا : المهدية والسودان المصرى[٧] الذى تعرّض للأوضاع فى السودان منذ بداية المهدية عام ١٨٨١م وحتى موقعة توشكى فى عام ١٨٨٩م. أمّا الكتابان الأولان فقد ألّفهما شخصان حضرا بعض الوقائع وسمعا البعض الآخر من أشخاص آخرين. وقد عكس هؤلاء المؤلّفون فى أحكامهم عقلية المنتصر التى غلبت عليهم إذ أنّهم كانوا فى البدء معتقلين لدى المهدى ومن ثم الخليفة عبد الله.

وهناك أيضا ثلاثة مؤلّفات أخرى كتبها أسرى ودوّنوا فيها ما شاهدوه. وقد كتب أولها أحد رجال البعثات التبشيرية ويدعى باولو روسينغيولى بعنوان بقيت اثنى عشر سنة لدى الدراويش[٨] وصدر ثانيها بعنوان اثناعشر سنة أسر فى أمدرمان وألّفه شارل نوفيلد. أمّا المؤلّف الثالث فقد ألّفه جوسب كوزى وهو تاجر ايطالى كان يعمل

قنصلا لمدينة بربر لحساب غردون ووقع أسيرا فى أيدى أنصار المهدى وكان عنوان الكتاب خمسة عشر عاما فى سجن النبى المزيّف[١٠] والكتاب مشاهدات صادقة فيما يتعلّق بجيش المهدى الذى كان يحاصر الخرطوم. وكان ما ورد فى هذا الكتاب يمثل نظرة معادية للقائه الخليفة عبد الله فى الرّهد.

يتأتى علينا أن نذكر هنا وثيقة هامّة نشرت مؤخرا وكانت بمثابة تصوير مباشر لبداية الثورة المهدية كما وصفها موظف ألمانى كان يعمل فى خدمة الحكومة فى الخرطوم. وقد صدر هذا الكتاب بعنوان: ذكريات كارل كريسنان جيقلر باشا فى السودان خلال أعوام ١٨٧٣-١٨٨٣.[١١] وتعود أهمية هذا الكتاب الى أنّ جيقلر باشا قد كتبه لأطفاله وليس لعامّة الناس وتابع فيه الأحداث التى سبقت الثورة المهدية والأحداث التى وقعت منذ ظهور محمد احمد فى صورة المهدى. وكان جقلر باشا قد شغل منصب نائب حاكم السودان لفترتين بدأت الأولى عام ١٨٧٩م بعد مغادرة غردون فى يوليو ذلك العام وحتى وصول رؤوف باشا فى أواخر مايو ١٨٨٠م، والثانية بعد استدعاء رؤوف فى فبراير ١٨٨٢م ووصُول عبد القادر باشا حلمى فى مايو من نفس العام وقد رسم جيقلر صورة حيّة لأوساط رجال الدولة العسكريين والمدنيين الأتراك والأوربيين الرؤساء والمرؤسين، وكان الشاهد الأوربى الوحيد على بداية المهدية حتى الهجوم الأول على الأبيض فى عام ١٨٨٣م. أمّا الروايات الأخرى التى حرّرها الكتاب الآخرون فقد افتقدت عنصر الأصالة.

تأتى بعد ذلك الكتب التى ألّفها المراسلون الغربيون الذين يتعاملون مع كبريات الصحف الانجليزية فى ذلك الوقت وكذلك مؤلّفات الضبّاط الانجليز الذين شاركوا فى عدّة معارك من ١٨٨٩ وحتى ١٨٩٨م. وفى أغلب الأحيان فإنّ تحليلات هؤلاء المؤلّفين قد اتسمت بالتحيّز إذ أنّهم وصفوا الجيوش الانجليزية بالانضباط وحسن التنظيم بينما ذكروا أنّ جيوش المهدى على الرغم من كثرتها العددية إلاّ أنّها كانت غير منضبطة وأنّ هم جنود المهدى الأول كان القتل فقط. وقد كان لدى هؤلاء الكتاب اتجاه بتقليل دور القوات المصرية وضبّاطها لابراز ورفع دور الانجليز فى السودان.

واتسمت بعض كتابات هؤلاء الضبّاط بالموضوعية. فونستن تشرشل

فى الطبعة الأولى من كتابه حرب النهر[١٢] تحدّث بأسلوب يغلب عليه الاعتدال عن الخليفة. كما وصف المهدى بأنّه وطنى وأنّه مصلح وانتقد سلوك كتشنر فيما يتعلّق بهدمه لجزء من ضريح المهدى. وكانت انتقاداته فى اسلوب حاد. وهذه الانتقادات افتقدتها الطبعات التى تلت الطبعة الأولى.

وأخيرا فإنّ لدينا كتابان باللّغة العربية كتب الأول أحد كبار الضبّاط الذين حاربوا مع غردون ووقعوا فى الأسر بعد سقوط الخرطوم وهو ابراهيم باشا فوزى. وكتب فوزى فى عام ١٨٩٨م، وبعد اطلاق سراحه، مذكراته بعنوان السودان بين يدى غردون وكتشنر[١٢] تناول فيها الأحداث التى حضرها أو التى رواها له شهو عيان.

وقد اتسمت كتابات ابراهيم باشا، بالحقد والكراهية ككتابات أوهرفالدر والأسرى الآخرين الذين سبقوه. فقد كانت الأحداث فيه مشوّهة وتغلب عليها المبالغة. وقد انصبّ حقده على الخليفة أكثر من المهدى. وهذا أمر طبيعى لأنّ الخليفة وضعه فى الأسر.

أمّا الكتاب الآخر فهو تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته[١٤] لمؤلّفه نعوم شقير. وقد كان شقير موظفا لبنانيا فى خدمة مخابرات الجيش المصرى. كما أنّه شارك فى عام ١٨٨٤-١٨٨٥م فى حملة الانقاذ التى أرسلت لنجدة غردون. وشارك أيضا فى عام ١٨٨٩-١٨٩٨ فى حملة كتشنر لاسترداد السودان. كما عمل سكرتيرا ومترجما لونجت باشا. ثم عمل فيما بعد مديرا للقسم التاريخى للاستخبارات الاستعمارية. وأتاح له هذا المنصب الاطلاع على كل الوثائق السرّية والرسمية خلال تلك الفترة. وبصورة عامّة فإنّ شقير قد تناول الأحداث بموضوعية. واتسمت كتاباته وتحليلاته فى الغالب بالحياد. ولذلك يعتبر كتابه المرجع الأساسى لتلك الفترة. وعلى الرغم من هذا فيجب اتخاذ الحيطة والحذر تجاه كتاباته. كما أنّنا يجب ألاّ ننسى أنّ نعوم شقير قد عمل فى خدمة الانجليز وأنّه كان متعاطفا معهم فى تناوله للأحداث. ولم يستطع أن يخفى حقده وكراهيته للخليفة عبد الله عندما تحدّث عنه.

أمّا السودانيون فإنّهم يحكمون على الخليفة عبد الله بطريقة

أخرى. فالخليفة عبد الله بالنسبة لغالبيتهم مغتصب للسلطة بغير وجه حق. فبعد موت المهدى كان من المفروض أن يؤول أمر الخلافة إمّا الى الخليفة شريف وهو ابن عم المهدى وصهره أو الى أحد أقربائه الأشراف . ولذا فإنّهم يمتنعون عن ذكر فترة حكم الخليفة. وحظوته لدى المهدى. ويتم التذكير بصفة خاصة على قسوة الخليفة على القبائل المعادية له والمناهضة لحكمه وجوره على عائلة المهدى نفسها وتفضيله وانحيازه الى عائلته وأبناء قبيلته.

ويمكن اعتبار مؤلّفات مكى شبيكة أفضل مثال لذلك على الرغم من أنّها كتبت بعد الخمسينات . وفى تلك الفترة فإنّ أى عمل عن المهدى لم يكن من الممكن أن يرى النور إلاّ بعد أن يطّلع عليه الانجليز ويوافقوا عليه.

(٤) المؤلّفات التى كتبها انجليز وسودانيون منذ بداية القرن والى يومنا هذا:-

لدينا كتاب ألّف فى العشرينات بعنوان تاريخ المهدى لمؤلّفه عبد الرحمن أبو الحسين الجابرى.(١٥) وهو يمنى جاء فى العشرينات الى السودان وانضمّ الى المهدية. ثم طردته السلطة البريطانية وصادرت مؤلّفاته. إلاّ أنّه عثر على نسختين من مؤلّفه "تاريخ المهدى" اشترتهما جامعة الخرطوم فى الستينات . ومؤلّفه ،قبل كلّ شىء،نوع من الدعاية للمهدية. وقد احتوى على أخطاء نحوية واملائية كثيرة كما لا يهتم كثيرا بالموضوعية العلمية. وعلى الرغم من كلّ شىء،وبالنظر الى أنّ المؤلّف قد استفسر الأحياء من عهد المهدية ،فإنّ كتابه جدير بالاهتمام إذا اعتبرناه شاهدا أصيلا على أحداث مروية خاصة فيما يتعلّق بكرري وأم دبيكرات وموت الخليفة. إذ أنّه لا يوجد بين يدينا شىء آخر يمكن أن يعتبر كمرجع مباشر سوى تقرير ونجت .

حتى الخمسينات كانت كلّ المؤلّفات المكتوبة عن المهدية تتسم بالتحيّز. وقد ظهرت المكانة الحقيقية للخليفة عبد الله فقط فى المهدية لشيوبولدو الدولة المهدية فى السودان١٨٨١-١٨٩٨م لهولت(١٦) وقد اتسمت كتاباتهما ،وخاصة هولت ،بالموضوعية. وسلّطت الضوء على

الدور الكبير للخليفة عبد الله فى بناء الدولة المهدية. إلاّ أنّ الصورة الحقيقية للخليفة عبد الله قد فاتت عليهما. فهما يرسمان الخطوط العامّة دون الدخول فى التفاصيل شأنهما شأن الذين كتبوا بعدهما واتبعوا الأثر الذى بدأه سلاطين باشا.

وقد ألّفت العديد من الكتب الخاصة بالسيرة الذاتية لبعض كبار قادة المهدية من قبل مختلف المؤرخين الانجليز. وقد تناولوا فى كتاباتهم بعض جوانب شخصية الخليفة عبد الله وسياسته. فقد كتب جاكسون فى عام ١٩٢٦ عن شخصية عثمان دقنة وفى عام ١٩٦٢ كتب شيوبولد عن حياة على دينار آخر سلاطين دارفور. وأخيرا فإنّ كلّ مؤلّفات ريشارد هيل خلال تلك الفترة تعتبر مراجع تساعد كثيرا فى استخلاص المظاهر المختلفة لحياة الخليفة عبد الله سواء كانت هذه الأعمال قاموس التراجم للسودان الانجليزى المصرى أو ترجمة سلاطين باشا. (١٧)

ومن بين السودانيين الذين كتبوا عن المهدية فى السنوات الأخيرة يجب أن يفرد مكان خاص لمحمّد ابراهيم أبى سليم مدير دار الوثائق المركزية السودانية. إذ يعود الفضل اليه، والى مؤلّفاته فى المهدية، فى دراسة المهدية بشكل موضوعى. فقد تخصّص أبو سليم فى الكتابة عن المهدى وألّف العديد من الدراسات النقدية عنه. كما ألّف كتابين عن الشيخ اسماعيل عبد القادر الذى سبق أن تعرّضنا له. وأخيرا فإنّه قد وضع مرشدا لكافة كتابات المهدى حيث أجرى تصنيفا لكلّ وثيقة وأشار الى المكان الذى توجد فيه، (١٨) وهذا المرشد ذو قيمة كبيرة ونتمنّى أن يترجم يوما الى لغة أوربية ليكون فى متناول الدّارسين للمهدية من غير العرب والذين يجدون صعوبة فى قراءة اللّغة العربية. وفى كتاب آخر - الحركة الفكرية فى المهدية (١٩) أجرى أبو سليم تصنيفا ونقدا لكلّ المؤلّفات والكتابات الخاصة بالمهدية ومعظمها وثائق الارشيف.

وهنالك عدد كبير من بحوث تقدّم بها مؤرخون سودانيون لدرجة الدكتوراه (منها ما طبع وما ظلّ مخطوطا) خصّصت لدراسة الجوانب المختلفة عن المهدية. كذلك هناك مؤلّفان فى غاية الأهمية يحاولان رسم المعالم الحقيقية لشخصية الخليفة عبد الله. وعلى الرّغم من

أنّ لها الصبغة العسكرية ،ويركزان على الجانب الاستراتيجي، إلا أنّهما عظيما الفائدة نسبة للمعلومات التي يحتويان عليها. مؤلّف الكتابين ضابط سوداني سابق وكان يعمل استاذا بالكلّية الحربية بالخرطوم هو المقدّم عصمت حسن زلفو. يتناول العمل الأول معركة كرري. أمّا الآخر فيتحدث عن معركة شيكان.(٢٠)

وتعتبر كلّ هذه الأعمال التي ألّفها المؤرخون السودانيون منذ السبعينات وحتى الآن عظيمة الفائدة لأنّها تعتمد على الوثائق من جهة، أمّا من الجهة الأخرى فإنّها تعكس لنا وجهة النظر السودانية وليس وجهة النظر الأجنبية كما كان الحال قبل أعمال هولت وأبي سليم. وقد ألقت هذه المؤلّفات الضوء على مختلف ملامح سياسة الخليفة. ونذكر منها بالتحديد مؤلّفين عن غرب السودان في عهد المهدية. أعدّ أولها موسى المبارك عن دارفور وأعدّ الثاني عوض عبد الهادي العطا عن كردفان.(٢١) وفي مجال سياسة الخليفة أيضا تجاه قبائل شرق السودان والحبشة نذكر المؤلّف الذي أعدّه محمد سعيد القدّال تحت عنوان المهدية والحبشة.(٢٢) وقد ألّف الأمريكي كولنز كتابا عن جنوب السودان أعطى فيه صورة قلمية ممتازة لشخصيتين من أمراء المهدية هما عمر صالح وعربي دفع الله.(٢٣)

وكخاتمة يمكن القول أنّ هناك العديد من المؤلّفات التي سوف نتغاضى عن ذكرها لأنّ القائمة ستكون طويلة جدا. ولكن يمكننا أن نذكر منها مثلا كتاب عبد الوهاب أحمد عبد الرحمن عن توشكي والذي دافع فيه عن الخليفة عبد الله فيما يتعلّق بغزوه لمصر وعلاقاته مع قائد الحملة الأمير عبد الرحمن النجومي.(٢٤)

ومن بين الأعمال التي لم تنشر بعد نذكر مؤلّف الاستاذ أحمد عثمان محمد ابراهيم عن الجزيرة في عهد المهدية والذي تتبّع فيه الكاتب الخطوط العريضة لسياسة الخليفة في تلك المنطقة والصعوبات التي قابلته من قبل قبائلها. وهناك مؤلّفان آخران يركزان على المشاكل التي عمل الخليفة على حلّها وسط مختلف قبائل السودان، أولهما مؤلّف محمد السيد داؤود بين القبائل النيلية وقبائل البقارة الرحّل في الغرب ،وثانيهما مؤلّف عزّام أبي بكر على الطيب

حول العلاقات بين الخليفة وقبائل السودان. وقد أوضح المؤلّف حقيقة علاقة الخليفة بمختلف قبائل السودان العربية وعداواتها له.(٢٥)

كل هذه الأعمال تكشف عن الجهد العظيم الذى بذل سعيا للتعرّف على شخصية الخليفة وفهمها جيدا. ولكن للأسف الشديد ظلّ وجه الخليفة ولأسباب سياسية وشخصية مشوّها بالنسبة لعدد غير قليل من الشعب السودانى والذى يحتفظ دائما فى ذاكرته بالصورة التى وضعها سلاطين.

ثانيا: الوجه الحقيقى للخليفة عبد الله:-

وسنحاول هنا أن نسترد للخليفة عبد الله وجهه الحقيقى ومكانه الفعلى. ويتوجّب علينا فى البداية استعراض مختلف الاتهامات التى وجّهت الى الخليفة من قبل المعاصرين ومن تبعهم. وسنحاول عرض وجهة نظر مغايرة فى معرض الرّد على سلاطين وونجت ومن اعتمد على آرائهم.

تفرض الأمانة العلمية على المؤرخ الذى يبحث عن الحقائق التاريخية من أجل خدمة العلم ألاّ يكون عاطفيا متحيّزا ومشوّها لواقع الأحداث إذ أنّ مسئوليته العلمية تحتم عليه الصدق والعدالة. أمّا الأشخاص الذين لهم مصلحة فى تزوير وتلفيق المعلومات خدمة لأعلام المستعمر فهم سدنة لنظام لا يقوم بنيانه إلاّ على هدم سمعة دولة المهدية. وحين يشوّه هذا النظام صورة المهدية فإنّه إنّما يبرّر غزوه لهذه البلاد بحجة أنّه ما جاء إلاّ لغرض انسانى بحت ،وهو انتشال السودانيين من أيدى حكم المهدية الذى يصفونه بالوحشية والتأخر والظلم.

يقول أعداء الخليفة: كان الخليفة قاسيا لا يرحم فى تعامله مع أعدائه. ولكن العصر الذى عاش فيه الخليفة وطبيعة بلاده كانا يتطلّبان ذلك. لقد عاش فى عهد ساد العالم فيه العنف والقهر والقمع ،وعهد كانت تؤخذ فيه كل دلائل العفو والرحمة كمؤشر للضعف فكلّ الحكام ورؤساء الدول فى ذلك العصر كانوا يسيرون على نفس هذه السياسة. لقد كان الخليفة مضطرّا لأن يكون قاسيا أحيانا مع معارضيه ولكن ينبغى ألاّ ننسى - بالاضافة الى ما ذكرنا من قبل - أنّ الخليفة شخص مؤمن مخلص فى إيمانه. وبالنسبة له فإنّ أقوال المهدى لها قوّة

القانون. فالمهدى نفسه قال عن الخليفة بعد سقوط الأبيض " إنّ كل ما يفعله الخليفة عبد الله إنّما يفعله بأمر من النبى صلّى الله عليه وسلّم لا بمجرّد اجتهاد منه ولا يصدر عن هوى.

كان الخليفة يحسّ بأنّه مسيّر. وكغيره من أولئك الذين اقتنعوا بأنّهم أداة فى يد الله ،فإنّه يتصرّف حسب ما يأمر به الشرع الاسلامى لذا فهو لا يقتل حبّا فى القتل. وإنّما كان يفعل ذلك وفقا لأحكام الشرع ولتثبيت دعائم الدولة فقط لا لتأمين نفسه وسلطته. فمثلا يعيبون عليه قسوته مع البطاحين،لكنّهم يتناسون أنّ هؤلا تمّت إدانتهم فى جريمتين تقعان تحت طائلة القضاء العسكرى والمدنى. لقد هجر معظمهم الجيش وفرّوا من الجهاد خلال حملة ود النجومى.ولذا فقد ارتكبوا جريمة الفرار أمام الأعداء وجريمة أفظع بتخلّيهم عن الجهاد. وعندما رجع البطاحين لبلادهم عاودوا ممارستهم للنهب وقطع الطريق واستحقوا لذلك عقوبة الموت وقطع الأيدى. وعندما يعاقبهم الخليفة فإنّه لا يسعى للثأر منهم وإنّما يطبّق شرع الله.

إنّ رقة وعطف الخليفة فى معاملته للأسرى الأوربيين تشهد بما يتصف به من حلم. وحتى بعد هزيمة الخليفة الحربية فإنّ عظمته ظلّت باقية فى نفوس السودانيين. ومن الخير أن نترك الحديث لونستون تشرشل الذى يقول: (عندما لحق الخليفة بجيشه فى الطريق وجد أنّ الكثيرين من أصدقائه قد هبطت معنوياتهم. ولكن هناك ما يمكن أن يسجّل لصالحه ولصالح رعاياه وهو أنّه ،وفى هذه الظروف السيئة، وجد أصدقاء وكان قد لحق بهم دون حراسة ومن غير أن يحمل سلاحا. لقد كان للفارّين أسباب منطقية ليكونوا غاضبين على زعيمهم الذى قادهم نحو الضياع. وكان من الممكن أن يقتلوا ذلك الزعيم الذى تسبّب فى كل هذه المآسى خاصة وأنّ أحدا لن يعترض على ذلك . فإنّ ذلك الرجل الذى كان الأوربيون يصوّرونه بأنّه ديكتاتور وطاغية مستبد يجسّد كل الصفات الرذيلة ،والذى كان مكروها من قبل بنى وطنه وفقا لما كان يعتقده الانجليز،وجد ذلك الرجل كل ترحاب من قبل جنوده المنسحبين من المعركة. وقد أسرع نحوه الأمراء والذين لم يتردّدوا فى إظهار ولائهم وإخلاصهم له.(٢٦)

وبعد وفاته فى عام ١٨٩٩م أصبح قبره مكانا يزوره النـــاس ويصحبون مرضاهم اليه وخاصة المصابين بالجنون. وقد أزعج ذلـــك الانجليز كثيرا حتى أنّه فى عام ١٩١٥ طلب مفتش منطقة كوستى، المستر بوند، من مدير مديرية النيل الأبيض أن يحطّم قبر الخليفة "وأن تحرث الأرض التى يقع فيها القبر على مدى هيكتار أو هكتارين". ولكـــن مدير المخابرات كان يرى أنّ الظروف غير مناسبة للقيام بمثل هـــذا العمل فى ذلك الوقت[٢٧] وعاود بوند محاولته مرّة أخرى فى ٧ ديسمبر ووجد أنّ عدد الزوّار قد ازداد عمّا كان عليه إبّان زيارته الأخيـرة. لذا فقد روّج إشاعة مفادها أنّ كلّ هؤلاء الناس إنّما يأتون لزيـــارة قبر الخليفة اعجابا بموهبته العسكرية وشجاعته، وكان ذلك بهـــدف تشجيع مريدى الخليفة للعمل فى العسكرية. فقد كانت الحكومة علـــى استعداد لاستيعابهم فى فرقة الغرب.[٢٨]

وحتى يومنا هذا مازال قبر الخليفة بأمدبيكرات مزارة للنـــاس يحضرون اليه مرضاهم للاستشفاء. فإذا كان الخليفة بمثل ما صـــوّره أعداؤه لظلّت ذكراه مكروهة لدى الناس. فالناس عموما لا ينسون مثل هذه الأشياء التى وجّهت ضد الخليفة. لقد ظلّ الخليفة مثلا للاجـــلال والاحترام من قبل شعبه. وبالنسبة للمؤمن المخلص الذى لا تعميـــه السياسة فإنّه يظل خليفة المهدى ولذا فهو حامل الخير والبركـــة.

وهناك روايتان تؤكدان نزعـــة الخليفة للعدالة وتكذبـــان جميع أولئك الذين يتهمون الخليفة بحبّه لحيازة ممتلكات الآخريـــن. الرواية الأولى يحكيها الشيخ محجوب مدثر ابراهيم الحجّاز والثانية يرويها السيد يوسف ميخائيل.

تقول الرواية الأولى عن محجوب مدثر الحجّاز عن سليمان الحجّاز أنّ جارية قد هربت من عند سيّدها ودخلت فى منزل الخليفة حيثاستقرّت وسط نسائه بدون علمه. فذهب سيّدها الى الشيخ سليمان الحجّاز الـذى كان وقتها قاضى الاسلام ورفع شكوى ضد الخليفة عبد الله. قام الشيخ سليمان باستدعاء الخليفة، وجعله يقف أمام المحكمة سويا مع خصمـــه، وأعلنه صراحة أنّه ظلم سيّد الجارية.

ثم طلب الى الأخير وصف جاريته وفعل الرجل. وعندما علـــم

الخليفة بالدعوى ضدّه أكّد عدم علمه بدخول الجارية فى منزله: ولكنّها وجدت فى بيته. وعلمت المحكمة دخولها بدون إذنه. فأصدر الشيخ سليمان حكمه بعودة الجارية الى منزل سيّدها. ووافق الخليفة على هذا الحكم، وبعد أن انقضت الجلسة غادر الشيخ سليمان مقعده قائلا للخليفة: "إنّها الشريعة ولكن الاجراءات انتهت الآن أنت الخليفة ونحن الرّعايا". وامتدحه الخليفة راجيا من كلّ القضاة أن يكونوا مثل الشيخ سليمان الحجّار. (٢٩)

وتقول الرواية الثانية عن يوسف ميخائيل أنّ شيخ العبدلاّب ناصر ود جمّاع كان يمتلك سيفا مشهورا بحدّته وبجودة معدنه. وسمع الخليفة عن ذلك السيف وقام الحاسدون بإثارة غضبه ضد ناصر. فقام باستدعائه وسأله عن سيفه. وأحضر ناصر السيف للخليفة الذى فحصه وقال بعد أن وضعه على ركبتيه: "إنّ هذا السيف يبدو لى كغيره من السيوف، لقد قال لى الناس أنّه يضرب بشدّة وأنّ معدنه فريد فى نوعه" فأجاب ناصر: "سيدى إنّ لهذا السيف تاريخا فهو يرجع الى تاريخ بعيد حيث أنّه كان من ممتلكات أجدادى وقد آل الى والدى الذى أهداه لى. لقد قتلت به أكثر من أربعين رجلا خلال الحرب ضد أبى روف بفضل جودة معدنه. فقد كان يقطع البنادق وأصحابها فى نفس الوقت. ويشهد بذلك عدد كبير من الأمراء والأنصار. ولكن السر يكمن فى الكيفية التى يمسك بها السيف لأنّه بمجرّد أن يضرب به فإنّ حافته تشتعل كالنار. وإذا ضربت به حجرا فإنّه يشتعل". ثم أمسك الخليفة بالسيف قائلا له: "خذ سيفك يا ناصر وأتمنى أن يجلب لك الحظ. لقد عفوت تكريما لك عن أهل الجزيرة، ولتعد كل القبائل لديارها لتفلح أرضها. لقد تصرّفت على هذا النحو لأنّك رجل أمين ومستقيم". (٣٠)

إذا كان الخليفة ظالما كما يقال عنه فكيف يجرؤ إنسان أن يرفع ضدّه شكوى وتكون للقاضى الجرأة فى دعوته للمحكمة والحكم عليه بردّ الشىء، موضوع النزاع ؟ ونفس الحكم ينطبق على رواية سيف الشيخ ناصر جمّاع والذى أعاده له الخليفة.

أمّا عن أمر الزّاكى طمل فإنّ الخليفة قد أوقفه واكتفى بسجنه حتى يتمكن من فحص الاتهامات الموجهة ضدّه. لكن أوامر الخليفة تمّ

تجاوزها فى معاملته، الأمر الذى أدّى الى وفاته. وعندما علم الخليفة بوفاته أمر بايداع قاضى الاسلام أحمد على فى السجن مكان الزّاكى طمل الذى تآمر ضدّه القاضى وهو بالسجن. وأمر الخليفة بمنع القاضى من الأكل حتى مات وأن يلقى القاضى نفس المعاملة التى عامل بها الزّاكى طمل. ومات القاضى فى السجن.

وفى كثير من الأحوال فإنّ الحكام وغيرهم من الوكلاء المناط بهم تنفيذ أوامر الخليفة لا ينفذونها بالصورة المرجوّة. ويكشف الخليفة الحقيقة دائما. وهنا فإنّ عدالته لا ترحم وعقوبته لهؤلاء الحكام والوكلاء لا تتأخر. وكان الخليفة غيورا على العدل ميّالا للحذر. فأحاط نفسه بأقربائه الذين شغلوا الوظائف الرئيسية فى حكومته. وكان لا يثق بالذين كانوا يريدون أن تؤول خلافة المهدى لأقربائه. وهنا أيضا فإنّ البعض ينسى ببساطة أنّ العديد من الوظائف الهامّة خلال حياة المهدى كان يتولاّها الأشراف وأولاد البلد ومختلف زعماء قبائل الشمال والجزيرة إذا استثنينا الخليفة عبد الله الذى أصبح القائد الأعلى لجميع جيوش المهدية. ويعقوب الذى احتلّ مكان أخيه الخليفة عبد الله قائدا للراية الزرقاء،وحمدان أبو عنجة، الذى أوكل اليه المهدى (بناء على نصيحة الخليفة عبد الله) قيادة الجنود السودانيين الذين انضمّوا لجيش المهدية فيما بعد،وعثمان دقنة الذى ظلّ طوال حياة المهدى وخليفته الزعيم الأوحد لقبائل البجة بشرق السودان.

وبعد ظهور المؤامرات ضد حكومة المهدية اعتمد الخليفة على العناصر المخلصة من أهل الغرب وغيرهم من الذين كانوا،على الرّغم من انتمائهم لقبائل أخرى،يحترمون وصايا المهدى. فالقائلون بأنّ الخليفة احتفظ لنفسه ولأقربائه بالسلطة إشباعا لشهوة الحكم يسيئون فهم أقوال المهدى إذ يردّ على الأشراف الذين كانوا يلحّون عليه فى تولية الخلافة لأحد أبنائه أو أقربائه،بأنّ ذلك الأمر ليس فى يده وإنّما جاء تعيين الخليفة عبد الله لخلافة المهدية من الرسول صلّى الله عليه وسلّم،كما جاء أمر اختياره هو نفسه لوظيفة المهدية. وكان يقول أيضا فى حق الخليفة عبد الله أنّه هو المهدى فى الباطن.

ويقول إنّ جميع أحكامه بأمر من المهدى أو من الرسول صلّى الله عليه وسلّم وأنّ الخضر عليه السلام يصحبه ولذلك فجميع أحكامه محمولة على الصواب . وبذا فإنّ الذين كانوا يقفون ضد خلافته يسيئون فى نفس الوقت لعقيدة المهدية ولا يثقون فى تعاليم المهدى. وكان الخليفة على قناعة تامّة بشرعيته ولذلك كان متمسّكا بالدفاع عن سياسته والاستمرار فيها والاستعانة بأخيه يعقوب وابنه عثمان شيخ الدين وغيرهم ممّن يثق فيهم.

من الطبيعى أن يعيب بعض أعداء الخليفة عليه تعدّد الزوجات والسرارى ويعتبر ذلك نوعا من البوهيمية . وهنا لابدّ من وقفة . فأولئك الذين يرون فى الخليفة نزعة الفسق هم إمّا قساوسة أو قوم متزمّتون يرون أنّ تعدّد الزوجات هو قمّة الفجور والشهوانية . ولكن لننظر بتعقل لهذه الناحية .

إنّ تعدّد الزوجات الحرائر الى أربع شىء مسموح به بنص القرآن والسنّة وإنّ زواج السرائر مشار اليه فى سورة المؤمنون فى الآية (٥) وفى سورة المعارج الآية (٣٠) وفى سورة النساء الآية (٣). وهذا التعدّد معروف وجار العمل به فى الاسلام .هذا من ناحية ،ومن ناحية أخرى فإنّ زوجات الخليفة وسراريه كنّ من مختلف قبائل السودان. وربما كان قصده من ذلك هو ربط هذه القبائل برباط النسب الأمر الذى يحقق صلات القربى والمودّة بين أهل السودان ويدعم الوحدة الوطنية . ولو كان قصد الخليفة المتعة لاقتصر زواجه من النساء الجميلات بصرف النظر عن الانتماء القبلى. كما أنّ فى ذلك الزواج اقتداء بالنبى صلّى الله عليه وسلّم وأصحابه الذين كانوا يتخذون لهم زوجات من الأسيرات . وقد اقتدى بذلك المهدى إحياءا للسنّة النبوية التى تحث على زواج الأسيرات والأرامل الشابّات خشية الانحراف والفجور. وأنّ هذا اللّوم الموجّه بتعدّد الزوجات والسرارى قد وجّه للمهدى أولا ثم للخليفة من بعده ،كما قد وجّه قبلا للنبى (ص) .ونسى البعض أنّ الاسلام قد حدّد عدد الزوجات الحرائر بأربع فى حين كان عددهنّ غير محدّد قبل الاسلام علما بأنّ الرّهبانية التى تقتضى عدم الزواج لم يؤخذ بها مطلقا فى البلاد الاسلامية وخاصة فى السودان كفضيلة تمارس .

ويتهم البعض الخليفة بالأمّية. وقد اتفق عدد من المؤرخين على ذلك باستثناء هولت. ويقال بأنّه لا يعرف القراءة والكتابة إلاّ بالقدر الذى يمكنه من ترتيل القرآن. وهذا الزعم لا أساس له من الصحّة اطلاقا. فالخليفة لم يكن عالما بمفهومنا المعاصر ولكنّه لم يكن أمّيا للأسباب الآتية :-

أولا :- نشأ الخليفة فى بيت علم واشتهر آباؤه بعلمهم وتقواهم وكانوا يؤسسون الخلاوى والمساجد فى كلّ مكان استوطنوا فيه. وكان الناس يلحقون أبناءهم بتلك الخلاوى لتلقى العلم والمعرفة. ولابدّ أنّ عبد الله قد تلقى العلم مع اخوانه وزملائه منذ نعومة أظفاره ولا يعقل أن يتعلّم أبناء الناس فى بيته وعن أبيه ويترك هو جاهلا.

ثانيا :- بدأ الخليفة إمامة الناس فى صلاة الجمعة قبل وفاة المهدى. وقد أشار عليه المهدى بصلاة الجمعة التى سبقت وفاته. وقد خطب الناس فيها بخطبة مكتوبة. كما توالت بعد ذلك خطبه فى صلوات الجمعة على مشهد من كل المصلّين الذين يقدّر عددهم بنحو سبعين ألفا. ولا يمكن لأمّى أن يخطب فى مثل هذا العدد وفيهم من العلماء والأدباء وحفظة القرآن.

وهناك أيضا من يزعم بأنّ الخليفة كان أمّيا بسبب أنّه لم يصل الى يدنا أى شىء من كتاباته. علاوة على أنّ الخليفة قد استخدم عددا كبيرا من الكتاب. وهذا فى اعتقادنا دليل ضعيف. والواقع أنّ كثيرا من وثائق المهدية لم تصل الينا كما أنّ التاريخ يزخر بالكثير من الزعماء قبل شارلس كوينت ونابليون الذين كانوا كثيرا ما يستخدمون من الكتاب ويملون عليهم الرسائل من وقت لآخر.

وقد ذكر لنا كوزى أنّ الخليفة عندما استقبله بخيمته فى الزّهد كان يملى رسائل للعديد من الكتاب. وكما يحدث عند كثير من الناس فربما كان الخليفة يجد سهولة أكثر فى التعبير عن آرائه وأفكاره شفاهة من كتابتها. كما أنّنا نجد كثيرا من الكتاب حول العظماء العرب فى كلّ العصور. ولا يعنى هذا أنّ هؤلاء العظماء كانوا من الأمّيين أو الجهلاء.

كان شغل الخليفة الشاغل هو انتصار الاسلام عن طريق الجهاد

وكان يرى وجوب إعادة الدين لنقائه الأول ودعوة بقية الأمم لاتباع طريق المهدى. ولتأكيد وجهة نظره هذه كان يقتدى بخلفاء النبى (ص) فبعد موت النبى (ص) لم تمت رسالته وإنّما حملها أتباعه وساروا على هديها الى أن انتشر الاسلام فى العالم. لقد كانت قناعة الخليفة بأنّ ما حدث فى عهد النبى سوف يحدث ثانية وأنّه لو قدّر له أن يموت فإنّ أتباعه لاشك سيقومون بإكمال السيرة. فإنّ ذلك وعد الله والله لا يخلف وعده ولا يخذل عبده المهدى أو خليفته.

ومن الأشياء التى تؤخذ أيضا على الخليفة حبّه للاطراء وعدم تقبّله لأية معارضة. والواقع أنّ ذلك شىء طبيعى فى الانسان. فبصفته خليفة للمهدى وزعيما لعشيرته كان يرى أنّه أهل "للمدح والاطراء" وكثيرا ما نجد هذه الخصلة عند الأشخاص الذين ارتقوا على قمم السلطة سواء بحد السيف أو بأية وسيلة أخرى. أمّا عدم تقبّله للمعارضة فيرجع الى ما ذكرناه سالفا من إيمانه التام بأنّه إنّما كان ينفذ ما أمره به الله وهو أمر غير قابل للجدل والنقاش.

ويجدر بنا قبل أن نختتم هذه الدراسة أن نرصد الصفات الحميدة التى كان يتحلّى بها الخليفة والتى لم يخفها حتى أعداؤه. فقد اتفق الجميع على أنّ الخليفة كان يتمتع بذكاء وقاد وبصيرة خارقة وكان يتميّز بطاقة جبّارة وشجاعة نادرة كما أنّه كان حليما واسع الصدر فى حق أعدائه. وبإيجاز فقد كان الخليفة يتحلّى بكلّ صفات القائد العربى المسلم ولاشك أنّه لو أسعفه الزمن ولم يغادر بتخطّى حدود بلاده لجعل من السودان بلدا قويا متحدا. ولكنّه لم يكن رجل سياسة وإنّما كان رجل إيمان فى المقام الأول.

لقد مات الخليفة وأنصاره أبطالا بعد مقاومة يائسة وليست هناك صورة أكبر وأجمل من المشهد فى أم‌دبيكرات فى ٢٤ نوفمبر ١٨٩٩. لقد افترش الخليفة فروته وأحاط به أمراؤه وجنودهم من خلفهم وفضلوا الموت على عار الهزيمة أو الأسر. ولم يكن ذلك بالنسبة لهم موتا وإنّما استشهادا فى سبيل الله. ماتوا جميعا مخلصين لعقيدتهم ومبدئهم وهم من أجل هذا يستحقون الاحترام والاجلال.

هوامـــــش

(١) مخطوطة ديرهام (AR.99 / 6) ونقحت المخطوطة ونشرت . أنظر محمد ابراهيم أبو سليم ،سعادة المستهدى بسيرة الامام المهدي،بيروت ،دار الفكر،١٩٦٧. كما ترجمت أجزاء منهـــا وحققت ودرست باللّغة الانجليزية . أنظر العنوان:-

Haim Shaked The Life of the Sudanese Mahdi, New Brunswick: Transaction Books, 1978

(٢) نفس المصدر،(AR.99/ 7) قام بتحقيقها ونشرها محمـــد ابراهيم أبو سليم ومحمد سعيد القدّال، الحرب الحبشيـــة السودانية ١٨٨٥-١٨٨٩م، الخرطوم ،وحدة أبحاث السودان كلّيـــة الآداب ،جامعة الخرطوم،١٩٦٢م. وقد قامت كاتبة هذه السطـــور بترجمة المخطوطة الى الفرنسية ولم تنشرها بعد.

(٣) المهدية ٧١/١١/٨

(٤) المهدية ٧٢/١١/٨ وقد حققت المخطوطة وترجمت الى الانجليزيـة

رسالة دكتوراه : Salih Muhammed Nur " A Critical Edition of the Memoirs of Yousuf Mikha'il, PH.D. thesis, University of London,1962

(٥) بابكر بدرى،تاريخ حياتي، الخرطوم ،مطبعة مصر،١٩٦١.

Yousif Bedri and Scott, The Memoirs of Babiker Bedri,London: Oxford University Press,1969.

(٦) أوراق أو دفتر على المهدى،٧٠/١٠/٨،مهدية.

(٧) Joseph Orhwalder, Ten year's Captivity in the Mahdi's Camp 1882-1892,London: Sampson Low Marston and Company, 1893.

Rudolf Carl von Slatin, Fire and Sword in the Sudan, Fourth ed. London: Edward Arnold, 1896.

F.R. Wingate, Mahdism and the Fgyptian Sudan, 2nd.ed, London: Frank Cass & Co LTD, 1968.

(٨) Father Paolo Rossignoli, I miei dodici anni di Prigionia in mezzo ai Dervisci del Sudan, Mondovi, 1898.

اطّلعت على ترجمة باللّغة الانجليزية لهذا الكتاب قام بها ف ريفش F, Rehfisch ولم تنشر هذه الترجمة كاملة وانّما نشرت أجزاء منها انظر:-

" A sketch of the Early History of Omdurman", S.N.R., X L V, 1964;pp.35-47; " Omdurman during the Mahdiya", S.N.R. XLVIII 1967,pp.33-61

(٩) Charles, Neufeld, A Prisoner of the Khaleefa: Twelve year's captivity at Omdurman, London: Cha pman and Hall,1899.

(١٠) Guiseppe, Cuzzi, Fifteen Years Prisoner of the False Prophet compiled and edited by Hans Resener; translated from the German by Hildegund Sharma. Khartoum: Sudan Research University of Khartoum, 1968.

(١١) R, Hill (Fd), The Sudan Memoirs of Carl Christian Giegler Pasha 1873-83, London: Oxford University Press,1984.

(١٢) Sir Winston Churchill, The River War: An Historical Account of the Reconquest of the Sudan, 2 vol, London:Longmans 1899.

(١٣) ابراهيم فوزى باشا، السودان بين يدى غردون وكتشنر، جزءان القاهرة: المؤيد، ١٣١٩هـ/١٩٠١م

(١٤) نعوم شقير، تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته، ٣ أجزاء، القاهرة: مطبعة المعارف بلا تاريخ وقد قمت بترجمته الى اللّغة الفرنسية ولم ينشر بعد.

(١٥) عبد الرحمن أبو الحسين الجبرى، "كتاب تاريخ المهدى" والمخطوط من جزئين: (١) "النفحات الوردية فى الشجرة المهدية، (٢) الصوارم الهندية والبواتر المهدية. وفى الجزء الأول وعلى الصفحتين ١٧٣ و١٧٤ يصف الكاتب أحداث موقعة جديدة (أم دبيكرات) وموت الخليفة على لسان شاهد عيان.

(١٦) Alan Buchan, Theobald, The Mahdiya,London:Longmans Green 1951; P.M,Holt, The Mahdist State in the Sudan 1881-1898,2nd ed, Oxford: The clarendon Press, 1970.

(١٧) Henry Cecil JACKSON, Osman Dingna, London: Methuen, A.B. Theobald, Ali Dinar, Last Sultan of Darfur,1898-1916. London: Longmans,1965.

Richard Hill A Biographical Dictionary of the Anglo-Egyptian Sudan, 2nd ed, Oxford: Clarendon Press,1967; Sultan Pacha, London: Oxford University Press,1965.

(١٨) محمد ابراهيم أبو سليم، المرشد الى وثائق المهدى، الخرطوم: دار الوثائق المركزية، ١٩٦٩م.

(١٩) محمد ابراهيم أبو سليم، الحركة الفكرية فى المهدية، الطبعة الثانية، بيروت: دار الجيل، ١٩٨١م.

، (تحقيق)، منشورات المهدية، الطبعة الثانية بيروت: دار الجيل، ١٩٧٩م.

(٢٠) عصمت حسن زلفو، كررى، الطبعة الثانية، الخرطوم: مطبعة التمدن، ١٩٧٨ وترجم بالانجليزية انظر: Peter Clark,Karari,London:Frederick Warne & Ltd, 1980 شيكان، أبو ظبى: مطابع نيتكو، ١٩٧٦م

(٢١) موسى المبارك الحسن، تاريخ دارفور السياسى ١٨٨٢م - ١٨٩٨م، الخرطوم، دار التأليف والترجمة والنشر، الخرطوم، ١٩٧٣م. وعوض عبد الهادى العطا، تاريخ كردفان السياسى فى المهدية ١٨٨١-١٨٩٩م الخرطوم: المجلس القومى للآداب والفنون، وزارة الثقافة والاعلام، ١٩٧٣م.

(٢٢) محمّد سعيد القدّال، المهدية والحبشة، الخرطوم: دار التأليف والترجمة والنشر، جامعة الخرطوم، ١٩٧٣م.

(٢٣) Rober Collins, The southern Sudan 1883-1898: A Struggle for Control, London: Yale University Press 1962.

(٢٤) عبد الوهاب أحمد عبد الرحمن، توشكى، دراسة تاريخية لحملة عبد الرحمن النجومى على مصر، الخرطوم: دار جامعة للنشر ١٩٧٩م.

(٢٥) أحمد عثمان محمد ابراهيم، "الجزيرة خلال المهدية ١٨٨١-١٨٩٨م" ماجستير آداب، جامعة الخرطوم، ١٩٧٠م، محمد سيد داؤد، "الصراع بين أولاد البلد وأولاد العرب فى عهد الخليفة عبد الله"، ماجستير آداب، جامعة الخرطوم، ١٩٧١م، عزّام أبوبكر على الطيب "العلاقات بين الخليفة عبد الله التعايشى وقبائل السودان ١٨٨٥-١٨٩٨م"، ماجستير آداب، جامعة القاهرة، ١٩٧٦م.

(٢٦) عزّام أبوبكر، "العلاقات ....." ص ١٨١ وما بعدها.

(٢٧) Intel ٣٣٩/٤١/٢ تقرير بوند مفتش كوستى من ١٩١٥/١٠/١٦، لحاكم مديرية النيل الأبيض المستر ت. س. ستروف. وقد أجاب الأخير بأنّه أحال خطابه الى السكرتير الادارى.

(٢٨) خطاب مساعد مدير المخابرات الى حاكم مديرية النيل الأبيض بتاريخ نوفمبر ١٩١٥م.

(٢٩) و. رج. بوند، مفتش كوستى، ١٩١٥/١٢/٧م.

(٣٠) على محمّد على صالح، "نظام القضاء فى دولة المهدية ١٨٨١-١٨٩٨ جذوره التاريخية وتطوّره" ماجستير آداب، جامعة الخرطوم ١٩٧٣ ص ١٥٩.

(٣١) يوسف ميخائيل، نفس المصدر، ص ٧٣-٧٤.